

الفصل الثالث

مادبا وجوارها قبيل عهد الإهارة

أولاً: موقف أهالي مادبا وجوارها من الحرب العالمية الأولى.

ثانياً: موقف أهالي مادبا وجوارها من الثورة العربية الكبرى.

ثالثاً: موقف أهالي مادبا وجوارها من المملكة العربية الفيصلية في سوريا.

رابعاً: موقف أهالي مادبا وجوارها من الانتداب البريطاني على شرقي الأردن.

أولاً: موقف أهالي مادبا وجوارها من الحرب العالمية الأولى:

عند قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914م اختلف أهالي شرقي الأردن مثل غيرهم من أبناء سوريا حول الموقف من دخولهم الحرب فانقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: كان يريد الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية المسلمة باعتبارها حامية الديار والإسلام وراعية لمصالحهم - ولو شكلياً على الأقل - وعدّوا الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية أمراً يفرضه الإسلام.

الفريق الثاني: كان يرى الوقوف إلى جانب الحلفاء باعتبارهم المنقذين لهم من السيطرة العثمانية، التي أدت إلى تأخرهم عن مواكبة الأمم الأخرى، إضافة إلى أن الحلفاء سيعملون على وحدة وحرية البلاد العربية واستقلالها، ومن أجل هذه الغاية أسرف الحلفاء في نشر الدعاية والوعود بين المواطنين العرب.

وكان عامة قبائل البلقاء، بمن فيهم أهالي مادبا المسلمين من أصحاب الرأي الأول، الداعي للوقوف إلى جانب الدولة العثمانية المسلمة باعتبار أن ذلك أمراً يفرضه الإسلام،

وقد أكد بعضهم⁽¹⁾ أن وقوف أهالي مادبا إلى جانب الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء كان من منطلق ديني، إذ لا يجوز محاربتها بل يجب الوقوف إلى جانبها في وجه الحلفاء، إلا أن هناك عاملاً آخر جعل أهالي مادبا تقف هذا الموقف، وهو التقارب الذي حدث بين الدولة العثمانية وبين شيوخهم⁽²⁾.

والجدير بالذكر أنه لم يتمكن من العثور على وثائق، تبين الدور الذي لعبه أهالي مادبا وجوارها إلى جانب الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى، لذلك من الممكن الاعتماد على المعلومات التي وفرتها الروايات الشفوية، التي تشير إلى أن الأتراك طلبوا فيما بعد من أهالي شرقي الأردن تشكيل فرق من المتطوعين، حيث شكل أهالي مادبا والبلقاء وبنو صخر وبنو حميدة عدة فرق، عملوا على الوقوف إلى جانب العثمانيين في محاربة الحلفاء الذين وصلوا إلى القدس، وتضيف الرواية أن سلطان العدوان شيخ البلقاء جهز قوة من المتطوعين بلغ عددهم حوالي خمسمائة رجل، وقد حاربت هذه القوة إلى جانب القوات

(1) المقابلات الشخصية (مع حفظ الألقاب) التي أجراها الباحث الدكتور عبدالله العساف لرواة أصبحوا جميعاً في ذمة الله الآن وهم: مقابلة مع محمد المرار السليمان الوخيان، منطقة الفيصلية/ مادبا، يوم السبت الموافق 18 / 3 / 2000م. ومقابلة مع عودة المرار السليمان الوخيان، منطقة الفيصلية/ مادبا، يوم السبت الموافق 18 / 3 / 2000م. ومقابلة مع عبد الحافظ الرشيد الوخيان، منطقة الفيصلية/ مادبا، يوم الجمعة الموافق 10 / 3 / 2000م. ومقابلة مع علي منور أبو الغنم، منطقة الفيصلية/ مادبا، يوم الاثنين الموافق 27 / 3 / 2000م. ومقابلة مع كامل ارشيد الوخيان، منطقة الفيصلية/ مادبا، يوم الجمعة الموافق 10 / 3 / 2000م. ومقابلة مع ضامن عبدالعزيز البراري، منطقة حسان، يوم الأحد الموافق 31 / 10 / 1999م. ومقابلة مع يوسف فضيل أبو الغنم، منطقة الفيصلية/ مادبا، يوم السبت الموافق 4 / 2 / 2000م، ويوم الثلاثاء الموافق 22 / 3 / 2000م. ومقابلة مع درويش صايل الشهوان، منطقة أم البساتين، يوم الأحد الموافق 30 / 1 / 2000م. ومقابلة مع مرزوق فالح العمر الشوابكة - عمره (120 سنة)، وشقيقه رزق فالح العمر الشوابكة (عمره 135 سنة)، منطقة غرناطة/ مادبا، يوم الاثنين الموافق 27 / 3 / 2000م. وسيشار للمقابلات السابقة فيما بعد: بذكر اسم الراوي فقط.

(2) Conder, The Survey Of Eastern Palestine, P.165.

التركية بقيادة جمال باشا الصغير⁽¹⁾ قائد الجيش الرابع، وعند شعور القائد التركي بصعوبة الوضع في القدس أمر متطوعي البلقاء بالانسحاب والعودة إلى الشونة، حفاظاً على أرواحهم، وكما أن الأهالي قد قاموا بجمع عدد من الخيول من منطقة البلقاء وقدموها هدية إلى الجنود الأتراك لمساعدتهم في الحرب⁽²⁾.

وقام أهالي مادبا أيضاً في أثناء الحرب العالمية الأولى، بجمع التبرعات من تلقاء أنفسهم لدعم حكومتهم العثمانية، ووفروا على الدولة معاناة جمعها من المواطنين، فجمعوها بأنفسهم وأرسلوها لكبار موظفين الدولة، وبعدها أبرقوا إلى جمال باشا والي دمشق يبلغونه فيها أنهم جمعوا هذه التبرعات من الأغنام والأموال من تلقاء أنفسهم مساعدة منهم للحكومة الجليلية ومساهمة منهم في المجهود الحربي الذي تقوم به الدولة؛ فأرسل جمال باشا رسالة شكر لهم على تبرعهم السخي⁽³⁾. وذكرت جريدة فلسطين أن صايل الشهوان شيخ العجارمة كان على رأس مجموعة من فرسان البلقاء طاردوا القوات البريطانية بعد تراجعهم من السلط⁽⁴⁾.

لقد أدت الأوضاع الاقتصادية والمعيشية الصعبة التي شهدتها المنطقة إبان الحرب العالمية الأولى وقبيلها، إلى دفع أعداد قليلة من أبناء البلاد إلى الهجرة، إما نتيجة لهذه الأحوال السيئة التي أحاطت بالبلاد استعداداً للحرب وما نتج عنها، وإما هروباً من التجنيد الإجباري في الجيش التركي، حيث كانت الدولة العثمانية تزج بالشباب العرب في

(1) جمال باشا الصغير: قائد عسكري، قاد الجيش التركي الرابع في القدس أثناء الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) ولا يقصد به هنا أحمد جمال باشا السفاح.

(2) مقابلات السابقة: عودة المرار الوخيان، ومحمد المرار الوخيان، وعلي المنور أبو الغنم، ويوسف فضيل أبو الغنم، وضامن عبدالعزيز البراري، ودرويش صايل الشهوان، ومرزوق وورزق الفالح العمر الشوابكة، وكامل وعبد الحافظ ارشيد الوخيان.

(3) الحمارنة، مادبا أيام زمان، ص39.

(4) فلسطين، العدد 651-57، بتاريخ 25 أيلول 1923، ص2.

حروبها الخاسرة مع القوى الأوروبية⁽¹⁾. وكان لأهالي مادبا وجوارها نصيبهم من ذلك، فقد هاجر عددٌ كبير من أبناء البلدة وجميعهم من مسيحيي البلدة، وقد لعبت المدارس التبشيرية والكنائس المنتشرة في المنطقة دوراً كبيراً في ذلك، وهذا الأمر يبين حقيقة موقف مسيحيي مادبا من الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية بعكس موقف عرب البلقاء الداعم لها، فقد ذكر لنا البدوي المثلث بعض أسماء هؤلاء، إذ قال: إن جاد الله حنا عودة من أول المهاجرين الأردنيين من مادبا عام 1911م، الذي وصل إلى تشيلي، ولحق به بعد عام واحد جمعة العجيلات، وكذلك توما خليل المعاينة، ومترى صبح العويمرين، وإبراهيم السلايطة، الذين أقاموا في مدينة تيميكو، في حين اختار المهاجر يعقوب حنا عودة الإقامة في بلدة كورا كوتين، كما اختار المهاجر عيسى إلياس البجالي الإقامة في بلدة كاتيمو، وهذا يعني أنه بين عام 1911-1912م، هاجر من أهالي مادبا حوالي 8 أشخاص. وأما في سنة 1913م فقد فتحت أبواب الهجرة، فزاد عدد شباب مادبا المهاجرين خاصة نحو تشيلي ومنهم: نعمان الهلسا، وعواد الحمارنة، وسلطي العويمرين، وعيسى العويمرين، وجريس السماعيل، ومرزوق العجيلات، ومفرج العجيلات، ويوسف العجيلات، وفرح مترى الصنّاع، وعيسى الصنّاع، وإبراهيم الخزوز، وجريس شويجات، وجميع هؤلاء المهاجرين هاجروا في هذه السنة إلى مدينة تيميكو حيث سكن أول المهاجرين من مادبا جادالله حنا عودة⁽²⁾، وهناك من هاجر في عام 1914م ومنهم: جبرائيل لهمان الهلسا ويعقوب صالح الهلسا، وسلمان سالم المرزوق الكرادشة، وسلمان سالم حماتي، متوجهين إلى تشيلي في مدينة

(1) أبو الشعر، هند، أردني في المكسيك عام 1922م، مذكرات خليل سماوي (1910-1935م)، من منشورات مركز الرأي للدراسات، عمان، 2011م، ص 283-288. وسيشار له فيما بعد: أبو الشعر، أردني في المكسيك عام 1922م.

(2) البدوي المثلث، يعقوب العودات، الناطقون بالضاد في أميركا الجنوبية، دار ريجاني، بيروت. 1956م، ص 110، وسيشار له فيما بعد: البدوي المثلث، الناطقون. وانظر أيضاً: أبو الشعر، أردني في المكسيك عام 1922م، ص 287-288.

تيميكو التي أصبحت مستقراً لمهاجري مادبا، الذين أخذوا يتوافدون عليها وبكثرة أثناء الحرب العالمية الأولى⁽¹⁾.

وأثناء المعارك التي دارت بين الدولة العثمانية ومن عاونهم من أهل البلاد الأصليين وبين البريطانيين، وإثر خروج البريطانيين من الأردن منسحبين إلى فلسطين؛ لتعزيز وجودهم فيها، خرج متصرف الكرك برفقة قوة عسكرية باتجاه الشمال ماراً بالقطرانة، وأثناء مروره فيها هاجمه فرسان بني صخر، وقتلوا ستة من الجنود العثمانيين، عندها توجه المتصرف نحو زيزياء ومنها إلى مادبا، ولما علم الموظفون الأتراك بوصول المتصرف العثماني خرجوا لملاقاته في قرية جلول شرق مادبا بحوالي 8 كم، وبعد وصوله لمادبا أخبره الموظفون عن موقف أهالي مادبا الداعم لهم، وعن الخدمات الجليلة التي قدمها أهلها لرجال الدولة العثمانية، وحمائيتهم من هجمات القبائل، وكذلك الحفاظ على حياتهم، فانشرح صدر المتصرف لمثل هذا الموقف، وأبرق إلى والي دمشق جمال باشا، يبين له موقف أهالي مادبا بأنهم جانب الدولة العثمانية وموظفيها⁽²⁾.

وبعد أن وصل خبر وجود متصرف الكرك في مادبا، وأن أهلها يوفرون له الحماية، أرسل الأمير فيصل بن الحسين إلى أهالي مادبا الشيخ مرزوق التخييمي برفقة عدد من الفرسان، الذين فوضوا سلامة بن مسعد الطوال للتفاوض معه، فحاول الشيخ مرزوق عقد صلح جديد بينهم وبين بني صخر، بكفالة الأمير فيصل، وذلك من أجل توحيد جهودهم ضد الحكم العثماني، وبعد أن عقد الصلح بينهم، طالب مرزوق تسليم متصرف الكرك -المقيم في مادبا- له ولكن أهالي مادبا رفضوا هذا الطلب بشدة، وعندها خرج الشيخ مرزوق من مادبا، وأخبر الأمير فيصل بهذا، وبعد ذلك تمكن متصرف الكرك من

(1) البدوي الملثم، الناطقون، ص110، أبو الشعر، أردني في المكسيك عام 1922م، ص287-288.

(2) العزيزات، يوسف سليم، العزيزات في مادبا، د.ت، ص124، وسيشار له فيما بعد: العزيزات، العزيزات في مادبا. وانظر أيضاً: النحاس، تاريخ مادبا، ص118.

الخروج من مادبا، بعد أن ودع أهالي مادبا الذين وفروا له الحماية، والتحق بمتصرف السلط الذي طلب مقابلة وجهاء أهالي مادبا، حيث شكرهم، وأخبرهم بثمين الحكومة العثمانية بموقفهم من حماية متصرف الكرك وفرسانه وغيره من الموظفين العثمانيين، وأن جمال باشا يمنحهم تقديراً لهذا الفعل الأوسمة وبعض الهبات المالية، فأخذوا الأوسمة ورفضوا المال⁽¹⁾، وكان هذا الموقف قبل خروج الأتراك من البلاد بأقل من شهر، أي بين 16 أيلول، و16 تشرين الأول عام 1918م⁽²⁾.

ثانياً: موقف أهالي مادبا وجوارها من الثورة العربية الكبرى:

هناك تباين واختلاف في موقف أهالي الأردن من الثورة العربية الكبرى بين مؤيد ورافض⁽³⁾، إذ أن قبائل عرب البلقاء - كما تظهر الوثائق - كانت تميل إلى الوقوف إلى جانب الأتراك، ووقفوا ضد مؤيدي الثورة، وثمة رسالتان أرسلتا من قبل متصرف الكرك إلى حسين الطراونة، الأولى: تطلب منه طرد البريطانيين إلى غربي الشريعة (نهر الأردن)، وتخبره أن مشايخ العدوان والبلقاء وبني صخر قد انضموا إلى جانب الأتراك، إذ حضر وفد منهم للتهنئة «بكلوب باشا» بوجوه ضاحكة؛ يلتمسون الهجوم مع عربانهم على العدو أينما كان⁽⁴⁾، فيما أشارت الرسالة الثانية إلى أن مشايخ العدوان وعرب البلقاء والصخور، قد توجهوا إلى جمال باشا (الصغير) في السلط، طالبين منه المشاركة في ملاحقة العدو⁽⁵⁾. وأشارت تقارير القنصلية الأمريكية في القدس إلى أن قبيلة بني صخر قد

(1) النحاس، تاريخ مادبا، ص 118-119.

(2) بيك، تاريخ شرق الأردن، ص 199-201.

(3) لمعرفة التباين بين موقف القبائل الأردنية من الثورة العربية، انظر، خريسات، محمد عبد القادر. الأردنيون والقضايا الوطنية والقومية، دراسة في الموقف الشعبي الأردني 1918-1939م، الجامعة الأردنية، عمان، 1992م، ص 12-15. وسيشار له فيما بعد هكذا: خريسات، الأردنيون والقضايا الوطنية والقومية.

(4) وثيقة غير منشورة، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، غير مرقمة، تاريخ 3/4/1334هـ-3 نيسان 1934م.

(5) المصدر نفسه، تاريخ 4/4/1334هـ-3 نيسان 1934م.

انقسمت إلى فريقين، الأول بزعامة مشهور الفايز المؤيد للثورة العربية ورجالها. والثاني بزعامة مثقال الفايز المؤيد للدولة العثمانية، وبينت هذه الوثائق أن مثقال الفايز طلب من العثمانيين إمداده بالأموال حتى يتمكن من كسب ولاء قبيلته للعثمانيين⁽¹⁾، كما أن بعض هجانة بني صخر قد شاركوا في القتال إلى جانب العثمانيين، وشنوا هجوماً على عدد من الجماعات المؤيدة للثورة العربية قرب منطقة القويرة⁽²⁾.

وأكدت الروايات أن عرب البلقاء، لم يرحبوا بالثورة العربية، ولم ينضموا إليها، فقد وقفوا منها موقف المحايد، فلم يجاربوا إلى جانب الأتراك، ولم يجاربوا إلى جانب الثورة العربية، وبالمقابل كان ابن عدوان يمنع عرب البلقاء من التحرش بالجيش التركي أثناء انسحابه من المنطقة؛ لأن دولة الأتراك دولة إسلامية ولا يجوز محاربتها⁽³⁾. وأشارت الروايات أن شيوخ البلقاء قابلوا فيصل بعد انسحاب الأتراك من المنطقة، وقد جاءت مقابلتهم له متأخرة⁽⁴⁾ بعكس القبائل الأخرى، التي سارعت لمقابلته منذ دخوله حدود بلاد الشام في تموز 1917م⁽⁵⁾، فقد ذكر أن من القبائل التي سارعت في الاتصال بالأمير فيصل قائد الجيش الشمالي في منطقة الوجه من شهر آذار 1917م، قرابة الـ (242) شيخاً وزعيم قبيلة، ممن يمثلون قبائل الرولة والشرارات والحويطات وبني صخر وبني عطية⁽⁶⁾.

(1) American Consulate General، Jerusalem No. 594. 15 April، 1931، P.1

(2) الموسى، سليمان، تاريخ الأردن، ص54-55.

(3) يوسف فضيل أبو الغنم (مقابلة سابقة).

(4) مقابلات سابقة. عودة ومحمد المرار الوخيان، وعلي المنور ويوسف فضيل أبو الغنم، وضامن البراري، ودرويش صايل الشهوان، ومرزوق ووزق الفالح العمر الشوابكة، وكامل وعبد الحافظ ارشيد الوخيان.

(5) لمزيد من المعلومات عن ذلك انظر: الروسان، مسيرة الثورة العربية، ص7-9.

(6) وثيقة غير منشورة مركز الوثائق، الجامعة الأردنية، غير مرقمة. وانظر أيضاً: الروسان، ممدوح عارف، مسيرة الثورة العربية على الساحة الأردنية (تموز 1917م - أيلول 1918م) منشورات لجنة تاريخ الأردن (23) سلسلة الكتاب في تاريخ الأردن 1994م، ص7-9. وسيشار له فيما بعد هكذا: الروسان، مسيرة الثورة العربية. وانظر أيضاً: خريسات، الأردنيون والقضايا الوطنية، والقومية، ص11.

ورغم التباين في الموقف تجاه الثورة العربية بين مؤيد ورافض إلا أنه لم يبرز ما يشير إلى مناوأة الثورة العربية. بل أنهم عندما أحسوا بالفراغ السياسي عقد شيوخ المنطقة اجتماعاً في منتصف كانون الأول 1919م لجمع التبرعات وإعداد المتطوعين للدفاع عن البلاد. وقد شكلت لجنة لهذه الغاية أطلق عليها اسم «لجنة الدفاع الوطني» وانتخب مثقال الفايز رئيساً لها⁽¹⁾.

ثالثاً: موقف أهالي مادبا وجوارها من المملكة العربية الفيصلية في سوريا.

بعد دخول فيصل بن الحسين دمشق، توافد عليه الزعماء من أرجاء البلاد الشامية لمؤازرته ومبايعته وتقديم الولاء والدعم له، وقابلوا فيصل بن الحسين في دمشق ونزلوا في ضيافته⁽²⁾، وبدأ فيصل يمهد الطريق لإقامة حكومة مستقلة في بلاد الشام، وعند عودته من مؤتمر الصلح في 9/5/1919م، خطب في دمشق مؤكداً أمرين، أولهما: الاستقلال التام للأمة العربية. وثانيهما: تطبيق قواعد الحكم الديمقراطي؛ ولتحقيق هذين الهدفين طلب من الأمة مؤازرته. وعندما أعلن عن تشكيل المؤتمر السوري الأول سارع أبناء شرقي الأردن إلى إرسال مندوبين عنهم⁽³⁾ للمشاركة في أعمال المؤتمر الذي استمر في اجتماعاته حتى 2/7/1919م وأصدر بيانه الختامي الذي قرر فيه المطالبة بالاستقلال السياسي التام، وعدم الفصل بين الجزء الجنوبي من سوريا (فلسطين) والمنطقة الغربية الساحلية

(1) جريدة العاصمة، ع88، بتاريخ 29/12/1919م، ص4.

(2) وأشار الكردي، محمد الصوريكي، في كتابه: شرقي الأردن والعهد الفيصلي (1918 - 1920)، الطبعة الأولى، عمان، ص951، إلى دعوة الأمير فيصل لشيوخ الشام وأن الحكومة العربية دعت مشايخ الأردن إلى القدوم إلى دمشق، فقدم إليهما من بين الوفود وفد كبير من المشايخ وهنا يقصد مشايخ الكرك، إذ كان على رأسهم رفيفان المجالي وعودة القسوس، ونزلوا في ضيافة فيصل وفي اليوم التالي قام بتوزيع مقادير من المال على المشايخ كل بحسب مركزه وأذن للجميع بالعودة إلى البلاد.

(3) لمعرفة أسماء المندوبين الأشخاص المنتخبين للمناطق، انظر: خريسات، الأردنيون والقضايا الوطنية والقومية، ص15-16.

(لبنان) عن القطر السوري، هذا بالإضافة إلى الاستقلال التام للعراق، والاحتجاج على كل معاهدات التجزئة التي ترمي إلى قيام كيان صهيوني في الجزء الجنوبي من سوريا⁽¹⁾، وشارك أهالي الأردن في المؤتمر السوري الثاني الذي عقد بين 6-8 / 3 / 1920م، وشاركوا في الاحتفال الذي أقيم في دمشق بمناسبة إعلان الحكومة العربية وتتويج الملك فيصل⁽²⁾، وكان في مقدمتهم مشايخ ووجهاء مادبا وجوارها الذين أعلنوا في المؤتمر استقلال البلاد السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالاً تاماً، ورفض المزاعم الصهيونية في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود⁽³⁾، ويكون بذلك فيصل قد أوعز - من خلال مؤتمراته - لأهالي البلاد السورية ما يجب عليهم قوله للجنة التحقيق الدولية المسماة بلجنة كنج كراين (King Crane)⁽⁴⁾، التي ألفت من قبل الحلفاء في 20 آذار 1919 (الولايات المتحدة - بريطانيا - فرنسا - إيطاليا) للتحقيق في مطالب العرب، واستطاع الأمير فيصل شرح

-
- (1) لمزيد من المعلومات عن المؤتمر السوري ومقرراته، انظر: محافظة، علي، الفكر السياسي في الأردن، ج1، ص23-26. وخريسات، الأردنيون والقضايا الوطنية والقومية، ص15-16. وعلم الدين، وجيه، العهود المتعلقة بالوطن العربي 1908-1922م، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1965، ص124-126.
- (2) المقابلات السابقة محمد المرار الوخيان، وعودة المرار سليمان الوخيان، وعلي منور أبو الغنم، ويوسف فضيل أبو الغنم، وضامن البراري، ودرويش الشهوان، ومرزوق، ورزق الفالح العمر الشوابكة، وكامل وعبد الحافظ ارشيد الوخيان.
- (3) ولمزيد من المعلومات عن المؤتمر الثاني انظر: الكتاب الأردني الأبيض والوثائق القومية في الوحدة السورية الطبيعية، المطبعة الوطنية، عمان، 1974، ص6-9. وانظر أيضاً: الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي (1915-1926)، جمع وإعداد حسن الحكيم، دار صادر، بيروت، 1974م، ص140-143.
- (4) سميت هذه اللجنة نسبة إلى هنري كنج (Henry King) رئيس الجامعة البروتستانتية من أوهايو والمدير الديني للجيش الأمريكي في الحرب العالمية الأولى وتشارلز كرين (Charles Crane) نائب رئيس اللجنة الملكية الأمريكية، ولمزيد من المعلومات انظر: فرانك ما نويل، بين أمريكا وفلسطين، ترجمة يوسف حنا، عمان، 1967م، ص22-124، وقاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق (1918 - 1920م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م، ص112-120.

القضايا المتعلقة بالأراضي السورية أمام مؤتمر الصلح في 6 شباط 1919⁽¹⁾، وعندما وصلت اللجنة إلى يافا في 10 حزيران 1919م أقامت في البلاد السورية 42 يوماً، زارت خلالها (1125) قرية ومدينة⁽²⁾. ومن بين المناطق التي زارتها واجتمعت بممثليها؛ عمان والسلط والتقت ممثلين عن عرب البلقاء، وبنو صخر، والشراكسة، والطوائف المسيحية، وقد أكد الجميع الاستقلال التام بلا حماية ولا وصاية، مع رفض الانتداب على أية دولة رفضاً باتاً⁽³⁾، وقد أشارت أوراق الشيخ تركي كايد المفلح العبيدات إلى أن اللجنة ستلتقي الشيخين شيخ البلقاء سلطان العدوان وشيخ بني صخر ميثال الفايز، لذلك أوفد الشيخ كايد مفلح العبيدات إليهما ولده تركي⁽⁴⁾ وحمله رساله لكل واحد منها، تضمنت المبادئ والأفكار التالية:

- 1- رفض مبدأ الانتداب.
- 2- رفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين وعدم الاعتراف بوعده بلفور للصهاينة.
- 3- الالتزام بمقررات المؤتمر السوري المنعقد بدمشق، وحدة الأراضي السورية، وإقامة الدولة العربية المستقلة فوق هذه الأراضي بما فيها فلسطين.

(1) المعلم، ولید، سوريا 1916-1946 الطريق إلى الحرية، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ص 79-85.

(2) المرجع نفسه، ص 85.

(3) زعيتر، أكرم، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1979، ص 30-31. وسيشار له فيما بعد: زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية. وانظر أيضاً: السعدي، عصام، الحركة الوطنية الأردنية (1921-1946) أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف أ.د. الأب لويس بوزيه - جامعة القديس، كلية الآداب العربية، بيروت، 1919، ص 41-46. وسيشار له فيما بعد: السعدي، الحركة الوطنية الأردنية.

(4) من أوراق الشيخ تركي كايد مقابلة جرت في 6 / 11 / 1994م، في بلدة التل (سوريا) وذكر الشيخ تركي أن والده أرسل كتابين لكل من الشيخ سلطان العدوان، وميثال الفايز تفاهم وإياهما على وحدة الموقف أمام لجنة كنج كراين، نقلاً عن: عبيدات، محمود. الدور الأردني في النضال العربي السوري 1325-1365هـ/ 1908-1946م، النضال المشترك، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1997م، ص 644، وسيشار له فيما بعد هكذا: عبيدات، محمود، الدور الأردني في النضال العربي السوري.

4- مقابلة اللجنة بصلافة العربي المؤمن بحقوقه والمعتز بقيمه الأخلاقية والروحية.

5- عدم السماح للجنة بمقابلة جهلة القوم.

6- الاحتفاظ بنسخة من رأيي وشهادتي الشيخين؛ خوفاً من التزوير وقلب الحقائق⁽¹⁾.

وجاءت أفكار سلطان العدوان ومثقال الفايز متطابقة تماماً مع أفكار الشيخ كايد، فقد جاء في رد سلطان العدوان على رسالة الشيخ تركي قوله: «إن أفكارنا يا أبا تركي متطابقة مع الملاحظات التي أوردتها في رسالتكم، ولن نطالب بأقل منها، وإن رأيناهم غير ذلك فلن يكون بيننا وبينهم إلا السلام على النبي...»⁽²⁾.

وقد ذكرت أوراق تركي الكايد مقابلة اللجنة لسلطان العدوان وعن حديثه لها، وأشارت إلى أن اللجنة قابلت أولاً سلطان العدوان ممثلاً عن عشائر العدوان في منطقة البلقاء، فكان سلطان العدوان عند مستوى الوطن والعروبة، حيث أكد للجنة أن الموت عنده أفضل من حياة التبعية للغرباء؛ حفاظاً على أرضنا وعلى عاداتنا وتقاليدينا الروحية والدينية والاجتماعية.

وأكد سلطان لأعضاء اللجنة أنه يتحدث بالنيابة عن عرب البلقاء كلهم، ولا فرق عندهم بين المسلم والمسيحي، فكلنا من عباد الله الصالحين، وقد أكد أيضاً في رسالة بعث بها إلى الشيخ سليمان السوداني الروسان (عضو المؤتمر السوري) بعد انتهاء أعمال اللجنة في فلسطين والأردن « أن اللجنة الأمريكية ستحقق بعض الآمال العربية، وتفهمت معنى الحرص العربي على الاستقلال والوحدة، وأشعرتنا أنها تحترم إرادة الشعوب». وفي لقاء عقد في منزل الوجيه عبد الرحمن ارشيدات (عضو المؤتمر السوري) في مدينة أربد، ذكر أن

(1) أوراق تركي باشا كايد، نقلاً عن عبيدات، محمود، مشاهير من التاريخ الأردني سيرة شهيد: «كايد المفلح العبيدات» أول شهيد أردني على التراب الفلسطيني 1868-1920، مكتبة دار الحياة للطباعة والنشر، أثينا - اليونان، د.ت، ص 170-180.

(2) أوراق تركي باشا الكايد، نقلاً عن المرجع نفسه، ص 18.

الشيخ العدوان كان زعيماً وطنياً بكل معنى الكلمة، فاستحق احترام اللجنة الأمريكية نفسها⁽¹⁾.

وقد مثل موقف سلطان العدوان أهالي مادبا وعربان البلقاء ابتداء من الوفد الذي تمثل في تقديم الولاء والدعم للأمير أثناء قدومه إلى سوريا، ثم في الوفد الذي مثل شرق الأردن في المؤتمر السوري الثاني، وتهنئة الأمير فيصل بإقامة الحكومة العربية السورية، وتأكيد استقلال سوريا الطبيعية، وعدم تجزئتها أو تقسيمها بما فيها لبنان وفلسطين، ورفض مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين، واستنكار الهجرة اليهودية إليها⁽²⁾. وكما أن اللجنة أيضاً استمعت إلى إفادات وجهاء وشيوخ عشائر البلقاء وبني صخر وعباد وبني حميدة ومادبا والسلط والكرك وعجلون، فكانت الكلمة واحدة، والهدف واحد: استقلال ناجز (تام) بلا حماية ولا وصاية من أي دولة كانت⁽³⁾.

وفي مقابلة أخرى تمت بين أعضاء نادي البلقاء ولجنة كنج - كراين كان التعبير فيها واضحاً عن النظرة القومية للأهالي المنطقة، فقد جاء فيها:

س: ما هي حقوق الأقلية عندكم؟

ج: لا فرق بين مسلم ومسيحي ويهودي عندنا. وللأقلية ما للأكثرية من الحقوق في بلادنا.

س: نعرف ذلك ولكن بماذا تثبتونه؟

ج: إن أعضاء مجلس الإدارة مثلاً متساوون في العدد (التمثيل)، فعندنا في السلط في مجلس الإدارة مسيحي، وهذا حفاظ على حقوق الأقلية.

(1) أوراق الشيخ تركي الكايد، مقابلة جرت في 6 / 1 / 1964م، في بلدة التل السورية نقلاً عن: محمود عبيدات، الدور الأردني في النضال العربي السوري، ص 213-214.

(2) لمزيد من المعلومات عن المطالب والرغبات التي نادى بها الشعب العربي في سوريا العربية ومن بينهم ماجد العدوان، انظر: عبيدات، محمود، الدور الأردني في النضال العربي السوري، ص 212-213.

(3) لمزيد من المعلومات انظر: قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق (1918 - 1920)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982م، ص 112- وما بعدها.

س: هل تريدون انتداب دولة؟

ج: لا نريد ذلك مطلقاً، ونحن قادرون على إدارة بلادنا، وعندنا رجال أكفاء لهذا العمل.

س: لماذا ترفضون المهاجرة الصهيونية؟

ج: لأنها تضر بفلسطين جارتنا وشقيقتنا في العروبة، يسوؤنا ما يسوؤها؛ ولأن الصهيونيين يحاولون الاستيلاء على البلاد.. أما اليهود القاطنون في البلاد قبلاً فهم إخواننا.

س: هل أنتم الجمعية الإسلامية المسيحية؟

ج: إننا وإن كنا لا نسمى بهذا الاسم، ولكن نادينا (نادي اللقاء) إسلامي مسيحي، ها إننا نقدم لكم عضوين من أعضاء نادينا وهما مسيحيان⁽¹⁾.

هذا ولم يطلب أحد من الوفود الذين قابلتهم لجنة كنف- كراين الحماية إلا ما كان من وفد مادبا الذي رحب بالحماية الإنجليزية مشروطاً على اللجنة الأخذ بعين الاعتبار المطالب الوطنية⁽²⁾.

وإذا كان وفد مادبا قد اقترح الحماية الإنجليزية، فليس ذلك من باب المس بالوحدة والحرية والاستقلال السوري حسب شرطهم الذي اشترطوه على اللجنة، كما أن ذلك لا يقلل من وطنيتهم؛ لأنهم لم يكونوا الوحيدين الذين طرحوا هذا الرأي أمام لجنة كنف- كراين. ومن خلال النتائج التي نشرتها اللجنة لوحظ أن 35٪ من العرائض التي قدمت لها من مختلف أنحاء سوريا قد جعلت الاختيار الأول في الحماية إلى بريطانيا⁽³⁾.

(1) زعيتر، وثائق الحركة الفلسطينية، ص 30-31.

(2) المصدر نفسه، ص 30-31.

(3) المصدر نفسه، ص 30-31.

كما واحتج عربان البلقاء بمن فيهم أهالي مادبا على قرار تقسيم البلاد وجعل فلسطين وطناً لليهود، وأرسلوا بتاريخ 19 / 11 / 1919م برقية إلى الحاكم العسكري العام بدمشق، يأمضاء كل من: علي الشخاترة، وسلامة سليمان عقيل، وسالم سليمان أبو الغنم، ومحسن القويتم، وعقيل السلامة، وإبراهيم الخواطرة، جاء فيها: «نحن عربان وعشائر البلقاء نقوم بالمظاهرة احتجاجاً على كل تسوية تقضي تجزئة بلادنا وحرمانها من استقلالها وجعل جنوبها موطناً لليهود، ونحتج أيضاً على الاتفاق الأخير المنعقد مؤخراً بين إنجلترا وفرنسا، ونعلن للعموم أننا مستعدون لإراقة دمائنا في سبيل الدفاع عن استقلال بلادنا والاحتفاظ بوحدتها. وإنما نطلب من دول الحلفاء الذين أعلنوا مبادئ العدالة وتحرير الشعوب أن يوفوا بوعودهم الشريفة فلا يدعوا مجالاً لاشتعال نار الفتن؛ بسبب هضم حقوقنا واستعمار بلادنا أو تجزئتها، والآن بكل قوانا وعمومنا بلساننا وبأيدينا التي هي قبضة سيوفنا اللامعة نطلب:

أولاً: رفض القرار الأخير.

ثانياً: عدم تجزئة سورية مع حفظ استقلالها التام.

ثالثاً: رفض جعل جنوب سوريا موطناً لليهود.

رابعاً: تثبيت مقررات ولسن⁽¹⁾.

كما وأقام النادي العربي بتاريخ 4 كانون الأول 1919م حفلة تكريمية في لواء البلقاء لزعماء بني صخر وبني حسن ومشايخ العجارمة والغنيات وبني حميدة ووجهاء مادبا وعمان والسلط والشراكسة، وقد تباحث المجتمعون فيها مصير بلادهم، وأصدروا بياناً سياسياً يأمضاءاتهم، وكان من الأسماء التي وقعت عليه من مادبا وجوارها، صالح الفايز، ومشهور الفايز، ومثقال الفايز، وعواد السطام، وصايل الشهبان العجارمة، وسالم سليمان

(1) جريدة العاصمة، دمشق، العدد 80، بتاريخ 1 / 11 / 1919م، ص7.

أبو الغنم، وعبد المهدي أبو وندي، وآخرون، وقد جاء فيه: «نحن ممثلي البلقاء من الحضرة وأهل البادية نحتج بكل قوانا على القرار والمؤامرة المنعقدة بين المستر لويد جورج والمسيو كليانصو بتجزئة البلاد العربية السورية والتعرض لاستقلالها التام مع رفض المهاجرة الصهيونية رفضاً تاماً. ونطالب بإعادة رئيس ديوان الشورى الحربي ياسين باشا الهاشمي إلى رأس وظيفته، كما كان أخذ غيلة وغير موافق للشرف والحيشية، وناشئاً عن غرض بالنفس وحزازة بالصدر، فيعد غدر المشار إليه مع القرار المبحوث عنه إعداماً للأمة العربية مما أغضبها فعلاً، وسيكون سبباً حقيقياً لإفهام من غيبت عليهم حالة العرب.

أنا قوم لا نصبر على ضيم، وسنسمح هذا القرار الجائر بالدماء العربية، فكل ما يقع من جراء هذه الحادثة- التجزئة- تكون مسؤوليته على مبغضي العدل والإنسانية وناكثي العهود، وإذا لم يعدل عن هذا القرار المشار إليه، فسنكون مختلفين بعد أن كنا مؤتلفين، وسنصون هذا الاستقلال ونؤيده بأموالنا وأولادنا ودمائنا حتى نفنى عن آخرنا.

وعلى هذه النية، أقسمنا الأيمان المغلظة، ولنا نوع من الأمل بأن المنصفين لا يبخلون علينا بحقنا المشروع حسب العهود والمواثيق إن كان للوفاء والعهود قيمة لديهم، راجين رفع احتجاجنا هذا إلى المقامات اللازمة، منتظرين الجواب بفارغ الصبر كي نكون على بصيرة من الأمر والسلام»⁽¹⁾.

وقد سبق أن قدم الشيخ نواف الفايز عريضة السلط باسم ثلاثين ألف بدوي إلى ضابط الارتباط البريطاني عندما زار في 13 تشرين الثاني 1919م يمتج فيها على الاتفاق الذي تم بين إنجلترا وفرنسا بتجزئة البلاد العربية والهجرة الصهيونية إلى فلسطين وقال: «ولنا الأمل الوطيد في دول الحلفاء أن تنظر إلى مطالبنا هذه نظرة عدل وإنصاف. وتقرر مصير بلادنا بموجبها، وإلا فلسنا مسؤولين إذا ما قاومنا كل اعتداء على قوميتنا والتلاعب بشئون بلادنا، ولا نرهب من أي قوة تنازلنا في ميادين القتال»⁽²⁾.

(1) جريدة العاصمة، دمشق، ع81، بتاريخ 4 / 12 / 1919م، ص3-4.

(2) جريدة العاصمة، دمشق، ع88، بتاريخ 29 / 12 / 1919م، ص2. والسعدي، الحركة والوطنية الأردنية، ص45. والكرد، محمد علي الصويركي. تاريخ السلط والبلقاء ودورها في بناء الأردن الحديث، ط1، دار عمار، عمان، 1998م. ص3-4، ص68. وسيشار له فيما بعد هكذا: الكرد، تاريخ السلط والبلقاء.

وقد رفض أهالي شرق الأردن كل مشاريع التقسيم، واستنكروا إعلان الجنرال بولز (Bols) أمام أعيان ووجهاء فلسطين في القدس 20 شباط / 1920م، فصل فلسطين عن سوريا، وذلك تمهيداً لجعلها وطناً قومياً لليهود، مما أثار ذلك غضب أهالي شرق الأردن فرفعوا مذكرة تهديد واستنكار بذلك بتاريخ 8 / 5 / 1920م، وقعها من أهالي مادبا وجوارها كل من: الشيخ سليمان بن طريف، والشيخ حمد بن حاتم من بني حميدة، وغيرهم⁽¹⁾. وجاء فيها: «فلسطين عزيزة علينا لا نرضى أن يغتصبها الدخلاء منا، فلسطين مقدسة لا يمكن أن نغض الطرف عما يحيط بها من أخطار، إن الخطر الصهيوني لا يهدد فلسطين وحدها من شأنه أن يهدد كيان الأمة العربية كلها»⁽²⁾.

وكذلك بايع أهالي مادبا وغيرهم من أبناء البلاد فيصل ملكاً على سورياً وتوطدت علاقتهما، وحسب التقسيمات الإدارية التي أقرت في 15 / 9 / 1919م أصبحت مادبا وناحية الجيزة (زيزيا) تتبع للواء البلقاء، وأما ذيبان فتتبع للواء الكرك⁽³⁾. وكانت قوى الدرك في العهد الفيصلي تكون من رهط (سرية) في كل قضاء، فكان رهط البلقاء يتكون من رهط السلط، ورهط عمان، ورهط مادبا⁽⁴⁾. وعندما استنجد فيصل بشيخ البلقاء سلطان العدوان عند قيام الثورة السورية ودخول الفرنسيين إليها، طلب سلطان من ابنه ماجد تشكيل فرقة من الفرسان المتطوعين من عشائر البلقاء، بما فيهم أهالي مادبا وعرب البلقاء فيها، والسير باتجاه الشام فوصلت الفرقة منطقة المزيريب (قرب درعا) في 25 تموز

(1) السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، القدس، 1937م، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص 37.

(3) الماضي وموسى، تاريخ الأردن، 85-87. الصوريكي، شرقي الأردن والعهد الفيصلي، ص 140-141.

(4) الكردي، تاريخ السلط والבלقاء، ص 73.

1920م، وهناك فوجئوا بقدوم الأمير فيصل إليهم وأخبرهم بانتهاء المعركة، وهزيمة الجيش العربي، واستشهاد القائد يوسف العظمة، ودخول الفرنسيين مدينة دمشق⁽¹⁾.

وقد لعب أهالي مادبا دوراً كبيراً في التطوع للحرب في حوران ضد الفرنسيين، فسار عدد منهم مع أهل عمان والبلقاء، ومعهم مدفعان، حملاً بالقطار، كما أرسل حملة من فرسان العشائر (بدو البلقاء، وبني حميدة، والسلط، وعلان)⁽²⁾ لا يقل تعدادها عن أربعمئة فارس، وقد شاركت في القتال وأبليت بلاء حسناً هناك، وكما كان لأهالي مادبا دورٌ مشهود في حماية الشخصيات العربية التي لجأت إليهم من سوريا ولبنان، تلك المطلوبة من الفرنسيين، فقد كانوا الملجأ الآمن لحمايتهم واستضافتهم وإكرامهم حتى انتهت الأحداث واستقرت الأوضاع في سورية الداخلية⁽³⁾.

رابعاً: موقف أهالي مادبا وجوارها من الانتداب البريطاني على شرقي الأردن.

على أثر اتفاقية سان ريمو (San Remo) فرضت كل من فرنسا وبريطانيا نفوذها على المناطق المتفق عليها، فكان الانتداب البريطاني على فلسطين وشرقي الأردن، والفرنسي على سوريا ولبنان إبان حكم الأمير فيصل لسوريا الداخلية، ويتضح لنا من خلال البرقية السرية التي أبرقها السيد هربرت صموئيل يوم 12 آب 1920م، إلى الملك فيصل يطلب فيها تشكيل حكومات في شرق الأردن تخضع للانتداب البريطاني، أشارت البرقية إلى

(1) الماضي، منيب، والموسى، سليمان، تاريخ الأردن في القرن العشرين 1900-1959، الطبعة الثانية، مكتبة المحاسب، عمان، 1988، ص 92-95، وسيشار له فيما بعد: الماضي وموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين. وانظر أيضاً: الموسى، سليمان، إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن (1921-1946) منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1985، ص 353، وسيشار له فيما بعد: الموسى، إمارة شرقي الأردن.

(2) عبيدات، ميسون، التطور السياسي لشرق الأردن في عهد الإمارة (1921-1946) منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 1993، ص 98-99، وسيشار له فيما بعد: عبيدات، ميسون، التطور السياسي لشرق الأردن.

(3) لمزيد من المعلومات عن دور عرب البلقاء في النضال السوري انظر: العساف، ماجد العدوان، ص 50-55.

ورود بعض البرقيات من مشايخ شرقي الأردن إلى المندوب السامي بهذا الخصوص، بالإضافة إلى أن بعضهم زار المندوب السامي في القدس، وطلبوا منه إنشاء إدارة بريطانية في شرقي الأردن⁽¹⁾.

وقد اجتمع المندوب السامي هربت صموئيل في 21 آب 1920م، بأعيان شرقي الأردن ووجهاتها في منطقة السلط، بعد قدومه من القدس، واستقبله أهالي السلط على عاداتهم، ثم توافد عليه بعض شيوخ العشائر في الأردن من مادبا، ومن بني حميدة، وعشيرة العدوان، وعشائر البلقاء الأخرى، وبني حسن، وعشيرة المجالي وعلى رأسهم رفيفان المجالي، وشيوخ من الشركس، وشيوخ من العقبة، وشيوخ من الحويطات، وعلى رأسهم حمد بن جازي، وبعض شيوخ بني صخر، الذين لم يحضروا جميعهم الاجتماع؛ لأن الدعوة وصلت إليهم متأخرة، وبلغ عدد الحضور في الاجتماع ما يقارب 600 شخص⁽²⁾.

(1) F.O. 371/ 5121 Samuel to F.O. 12/8/1920، Telegram No. 187.

وانظر أيضاً: سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن المجلد الثالث، إمارة شرق الأردن وسقوط قضية فلسطين الدولة الهاشمية وثورة الشام، مكتبة مدبولي، مصر، 1934، ص 11-15، وسيشار له فيما بعد: سعيد، الثورة العربية الكبرى، م 3.

(2) الزركلي، عامان في عمان، ص 38-40. والبيان، العدد 923، بتاريخ 30 أيلول 1920، ص 7. والماضي وموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص 104، وعبد، ميادة، الحكومات المحلية في شرقي الأردن ونشوء الإمارة آب 1920- آذار 1921، رسالة ماجستير، إشراف د. مصطفى حمارنة، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، 1996، ص 40، وسيشار له فيما بعد: عبد، الحكومات المحلية. أبو دية، سعد، واللواء قاسم محمد صالح، الجيش العربي نشأته وتطوره ودور القوات المسلحة الأردنية، 1921-1997، الطبعة الأولى، عمان، 1997، ص 48-49، وسيشار له فيما بعد: أبو دية وقاسم، الجيش العربي، وأشار مونكتون هنا أن بعض شيوخ بني صخر لم يحضروا جميعهم الاجتماع؛ لأن الدعوة وصلت إليهم متأخرة، أما شيوخ اربد وعجلون فلم يحضروا جميعهم؛ بسبب الخصومات بينهم وبين عشائر البلقاء لمزيد من المعلومات انظر:

Monckton P.P. Jericho, 21/8/1920, P.20.

وانظر أيضاً:

Wilson, Mary, King Abdullah, Britain and he making of Jordan, Cambridge University Press New York, 1987, P.226.

وسيشار له فيما بعد: Wilson, King Abdullah

ثم أعلن صموئيل أنه جاء بناء على طلبهم، وأعرب عن رغبته في إنشاء إدارة في شرقي الأردن منفصلة عن فلسطين؛ لتساعدهم على أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، وعلى إرسال نفر من الضباط السياسيين العادلين وذوي الخبرة بأعمال الإدارة وأهالي المنطقة؛ لمساعدتهم في تنظيم أمور الدفاع عنهم، وكذلك لمواجهة الأخطار الخارجية التي قد تحصل، وتنظيم البوليس المحلي الذي يحافظ على الأمن والنظام، وتنشيط التجارة، وإنفاق الضرائب التي تجبى منهم؛ لسد حاجاتهم، بالإضافة إلى تأمين احتياجات أهل البلاد من البترول والأرز والسكر وغيرها من الضروريات لحاجات الإنسان⁽¹⁾.

وهنا تساءل الناس عن نوعية الحكم أهو بريطاني أم فرنسي أم عربي؟⁽²⁾، فعندها سأل هربرت صموئيل الناس الذين التقى بهم، من يريد أن يكون الحكم لبريطانيا؟ فليتقدم للأمام ويعطي اسمه، فتقدم جمهور الحاضرين، وطلب كل من سلطان العدوان ورفيفان المجالي من هربرت صموئيل أن يفرج عن الحاج أمين الحسيني وعارف العارف، المسجونين في القدس، فوافق هربرت صموئيل على طلبهما؛ فابتهج الناس بذلك⁽³⁾، ووصف مونكتون (Monckton) بدقة طريقة اقتراب سلطان ورفيفان من هربرت صموئيل، إذ وضعاً أيديهما يداً بيد، وتقدماً نحو هربرت صموئيل⁽⁴⁾.

وعند هذه الحالة الخطيرة تقدم أحد العقلاء من أهالي السلط الحكماء، وأقترح أن يتولى إدارة البلاد أحد أبناء الملك حسين بن علي ويكون أميراً عليهم، ولكن الحضور لم

(1) Monckton P.P.Jordan، 21/8/1920 .P.2.

وانظر أيضاً: سعيد، الثورة العربية الكبرى، م3، ص11-15، مرآة الشرق، العدد 49، بتاريخ 1 أيلول 1920، ص2، الماضي والموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص104.

(2) Monckton، P.P، Jericho، 21/8/1920، P.3.

(3) Monckton، Private Papers، Aletter to His Father، Jericho، 21/8/1920، P.3.

وانظر أيضاً: الزعبي، أجدد أحمد سليمان، هربرت صموئيل وتأسيس إمارة شرقي الأردن 1920 - 1925، رسالة ماجستير إشراف د. ممدوح عارف الروسان، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 1996م، ص58.

(4) Monckton، P.P. Jericho، 21/8/1920، P.2.

يظهروا تأييداً لهذه الفكرة؛ وذلك لأن كبار الشيوخ عقدوا اجتماعاً مسبقاً ناقشوا فيه بعض الآراء والاقتراحات، وقد كان منها هذه الفكرة، ولكنهم اتخذوا قراراً بالأغلبية ضدها، وعلى رأسهم سلطان العدوان ورفيفان المجالي اللذان تزعمهما المجتمعين، وأعلمنا أنهما سيقدمان عرائض لتحديد الإدارة البريطانية، وكل ما حدث في الاجتماع هو من اختيار الأهالي⁽¹⁾ في شرق الأردن.

وبناء على اجتماع السلط وما تلاه من مؤتمر أم قيس⁽²⁾، الذي أقيم بحضور الضابط البريطاني سمسرست (Somerset) في شرق الأردن، دخلت البلاد رسمياً تحت الحماية البريطانية، وألحقت بالمندوب السامي في فلسطين، وتشكلت ثلاث حكومات محلية في شرقي الأردن منفصلة عن بعضها، وهي حكومة عجلون⁽³⁾، وحكومة السلط، وحكومة الكرك⁽⁴⁾، لكل منها مستشار بريطاني خاص⁽⁵⁾، وما يهمننا هنا الحكومة الثانية، وهي حكومة السلط، فهذه الحكومة ألقت فيما بعد مجلس شورى، واختيرت مدينة السلط عاصمة لهذه الحكومة⁽⁶⁾، وقد تألفت حكومة السلط من قضاء البلقاء الذي يشمل السلط

(1) الموسى، سليمان، تأسيس الإمارة الأردنية 1921-1925 دراسة وثائقية، الطبعة الثالثة، مكتبة المحتسب، عمان، 1989، ص 32-36، وسيشار له فيما بعد: الموسى، تأسيس الإمارة الأردنية.

(2) لمزيد من المعلومات عن مؤتمر أم قيس واتفاقية أم قيس التي عقدت في 2 أيلول 1920م انظر:

Somerset Papers, Aletter dated: 24/8/1920, P. 1-3.

(3) لمزيد من المعلومات عن حكومة عجلون انظر: عبده، الحكومات المحلية، ص 60-63.

(4) المرجع نفسه عن حكومتي السلط والكرك، انظر: عبده، الحكومات المحلية، ص 65-71.

(5) F.O. 371/5122, Samuel to F.O. 27/8/1920, Telegram No. 224.-Archives S.D.N.

Mandats, Paliotine, Petitions, R. 2288. P.2

(6) الماضي والموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص 114-115. والكردى، تاريخ السلط والבלقاء، ص 76، عبيدات، محمود، الأردن في التاريخ، في العصر الحجري حتى قيام الإمارة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، منشورات جورس بريس، طرابلس، لبنان، 1992، ص 202-203.

وعمان ومادبا⁽¹⁾، وبقي المتصرف عليها مظهر رسلان الذي عينته الحكومة الفيصلية، أما الممثل البريطاني لدى هذه الحكومة فكان الميجور كامب (Camp)⁽²⁾.

وقد تشكل مجلس الشورى السابق بطريقة الانتخاب، حسب المناطق التي خضعت للحكومة، وانتخب ممثلاً عن مادبا إبراهيم الشويحات، وعن عرب البلقاء والعدوان ماجد العدوان⁽³⁾. وتجدر الإشارة إلى أن حكومة السلط التي كان يرأسها مظهر رسلان (متصرف حكومة السلط) لم تتمكن من السيطرة على القبائل الكبرى في المنطقة⁽⁴⁾، إذ إن القبائل البدوية القوية لم تكن تلقي بالأحكام السلط، فلم يكن لحكومة السلط أية سلطة فعلية على قبائل المنطقة⁽⁵⁾ واحتفظ البدو باستقلالهم العشائري الذي كانوا يتمتعون به منذ القدم، قبل العهد العثماني، ولم تستطع تلك الحكومة أن تفرض هيبتها بالرغم من وجود مجلس الشورى⁽⁶⁾، الذي لم يعرف له عمل أو رأي غير قرار أصدره بتغيير لقب المتصرف، وجعله الحاكم الإداري العام⁽⁷⁾.

وقد استمرت حكومة السلط بممارسة أعمالها مع الحكومات المحلية، حتى 11 نيسان 1921م، عندما تشكلت الإمارة بزعامة الأمير عبدالله بن الحسين رسمياً⁽⁸⁾، فأشارت إحدى المقالات التي نشرت في جريدة البشير من خلالها مندوبها الخاص في السلط إلى

(1) Somerset P.P, Trbid, 16/9/1920, P. 1-2.

(2) F.O. 371/5122. Samuel to F.O. 22/8/1920, Telegram No. 207.

(3) الماضي وموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص 114-115. والكردي، تاريخ السلط والבלقاء، ص 76. وعبيدات، محمود، الأردن، ص 202-203.

(4) الماضي وموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص 123-124.

(5) أحمد ظاهر، أغوار الأردن عمليات التغيير وإدارة التطور، عمان، 1988م، ص 29.

(6) الماضي وموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص 117.

(7) المرجع نفسه، ص 123-124.

(8) الماضي وموسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص 114.

الأوضاع التي تحيط بحكومة السلط تحت عنوان: (الدولة البلقاوية)⁽¹⁾ إن حدود الدولة البلقاوية (حكومة السلط) التي كانت قاعدتها السلط، والممتدة شمالاً حتى نهر الزرقاء الفاصل بينها وبين منطقة عجلون، وجنوباً حتى نهر الموجب الذي يفصلها عن حكومة الكرك المنفصلة إدارياً، وشرقاً البادية، وغرباً نهر الأردن⁽²⁾. كما أشارت المقالة إلى « كثرة التعديلات وتفتح عيون المظالم، والأوضاع السيئة التي تحيط بهذه الدولة إذ إنها - مقارنة بالحكومات الأخرى - فقيرة في العلم والأدب، وذلك لأن السواد الأعظم من السكان هم من العرب الرّحل القاطنين بيوت الشعر؛ ولأن الكثير من الذين سكنوا المدن نظير أهالي السلط وعمان ومادبا، قد عملوا بالفلاحة والزراعة ورعاية المواشي، وأضحت البلاد بدوية زراعية، وقل من تعاطى فيها العلوم والفنون، حتى أن رؤساء دوائر الحكومة إلى اليوم من السوريين والدمشقيين واللبنانيين وسائر بلاد فلسطين الغربية، وهم يفكرون اليوم بوضعهم السياسي، وما سيصير إليه أمرهم في المستقبل؛ لأنهم لا يريدون إغضاب الحكومة الفرنسية المنتدبة لبلادهم، ومن وجه آخر يرون البقاء في منصبهم أفضل لهم، فقد تعود الشعب عليهم، وعلقت بهم مناصب مثل: القاضي، ورئيس محكمة الاستئناف، والمدعي العام، وقائد الدرك، وغيرهم».

كما أشارت المقالة أن بقية الحكومات الأخرى « تستطيع الاعتماد على مالية تكفيها مؤونة الاستقراض، ولديها من الأموال والمؤسسات التركية المتروكة ما يساعدها في البدء بتنظيم شؤونها، أما مالية البلقاوية، فيستحيل عليها أن تقوم بنفقات حكومة مستقلة، لا سيما أن الأملاك الأميرية القليلة لم تزل خراباً من يوم انسحاب الجيش التركي وجميع المساكن التي تستخدمها الدوائر الرسمية هي بالإيجار، وقد نظم متصرف البلقاء بالاتفاق مع رؤساء الدوائر ميزانية جديدة لا تقل عن مائة ألف جنيه مصري، ويتنظر مجلس الأمة

(1) البشير، العدد 2642، بتاريخ 11 تشرين ثاني 1920، ص 1-2.

(2) وأشار إلى تلك الحدود بركهارت، رحلات، ص 77.

العتيد أن ينعقد للنظر فيها والتصديق عليها، ولكن واردات البلاد في السنين جيدة الموسم لا تزيد عن ثمانين ألف جنيه مصري، فيكون العجز كل سنة عشرين ألفاً، وذلك إذا جبيت الأموال الأميرية بكاملها، على أن الأموال الحاضرة تجبى بالعكس؛ لأن البدوي الذي لا يعرف سوى شريعة السيف والقوة، قد زاد اليوم استبداداً واستقلالاً. ولقد جمعت البلقاء قواها، وذهبت لمطاردة بعض الأشقياء من البدو، يقودها ضابطان من الإنجليز وهما الوحيدان من الجيش البريطاني في هذه البلاد، فإذا نجحت والأمل معقود على نجاحها؛ فتستطيع الحكومة عند ذلك أن تعتمد على معظم وارداتها».

كما أشارت هذه المقالة إلى أمر ثالث، وهو «أن الدولة البلقاوية بحاجة إلى جيش منظم للدفاع عنها إذ ليس لها سوى بعض القواد القليلين، الذين وإن كنا نشهد لهم بالشجاعة البلقاوية المشهورة، فليس لديهم سوى أفراد قليلين من الدرك لا مدفع عندهم ولا رشاش ولا بارود ولا سوى ذلك من الوسائل الدفاعية، حتى أن الحكومة اضطرت مؤخراً إلى أن تتابع من أفراد الشعب - وكله مسلح - كمية من الفشك؛ لتوزعه على عسكرها، بينما نرى العشائر البدوية موفورة العدد والعدة، وقد وعدت الحكومة البريطانية أن تقوم بكل مساعدة تلزم من المؤونة والذخيرة، ولكن النفقة تكون على البلاد، وقد أرسلت لنا من عهد قريب تجهيزات عسكرية كافية لأربعمائة نفر وقيدت ذلك، وقد طلب الأهلون مرات عديدة، وكذلك أرباب الحكومات من المندوب السامي إرسال قوة بريطانية؛ لتحمي البلاد وتساعد الحكومة في عملها مؤقتاً. فامتنعت الحكومة البريطانية؛ ولذلك كثرت التعدييات وتفتحت عيون المظالم، ولولا العقل من إخواننا وجهاء السلط، ولولا الشيخ سلطان أمير البلقاء وابنه الشيخ ماجد باشا، ولولا سياسة متصرفنا مظهر بك العالي الهمة، الواسع الصدر، ولولا المستشار البريطاني كامب؛ لانتشرت الفوضى»⁽¹⁾.

(1) البشير، العدد 2642، بتاريخ 11 تشرين الثاني 1920، ص 1-2.

يتضح مما سبق أن الأوضاع التي كانت تحيط بمنطقة مادبا وجوارها سيئة في تلك الفترة، علاوة على أهمية الدور الذي لعبه متصرف السلط مظهر رسلان والمستشار البريطاني كامب؛ للحفاظ على الأمن في المنطقة، وذلك بمساعدة زعماء المنطقة، وقد جاء في جريدة البشير بوقوع خلاف بين البدو البلقاوية والمسيحيين في مادبا، وذهاب حملة كبيرة إلى مادبا برئاسة المعتمدين البريطانيين، يساندهم سلطان العدوان؛ لإنهاء الخلاف بينهم، وفي مادبا قام الجميع بحل الخلاف بالطرق السلمية⁽¹⁾، وحسب الأعراف العشائرية السائدة، التي كانت بالنسبة للطرفين أردع من أنظمة الدولة.

(1) البشير، العدد 2638، بتاريخ 2 تشرين الثاني 1920، ص4، وعن الفوضى في مادبا بهذه الفترة بسبب عدم الامن انظر: النحاس، تاريخ مادبا، ص134.